وتفرق اتباع الامام .. وانضم بعض القادة الى الروس ومعهم الكثير من السكان المحليين ، واصيبت الحركة بالوهن وتضاءل حماس المجاهدين ...

الحملة الأخيرة (١٨٥٨): قسم القائد الجديد لهذه الحملة باریاتنسكي جيش القوقاز الى خمس قيادات وفوض لكل قائد سلطات كاملة على ان يكون مسؤولا امامه شخصيا .

ونجح باریاتنسكي في عزل الامام عن القوقاز .. بحيث لم يعد يخضع لسيطرته الا شمال داغستان، واتخريا والاندى .

وواجه الامام هزائم كثيرة واستشهد نوابه ، وقبلت مناطق كثيرة الاستسلام غير المشروط لروسيا ونجح فوديكوف في خداع الامام الذي لم يستطع تحديد اتجاه خصمه .. وهي نفس المكيدة التي كان يوقعها بالروس من قبل ..

وتقدمت الحملة بدون اية مقاومة تذكر .. وادت الانتصارات المستمرة الى تحطيم معنويات قوات المريدين واستسلموا للروس بشكل واسع .. وتخلى عن الامام حتى اخلص رفاقه ..

وتجمعت الحملة المكونة من ٤٠ الف جندي ، ٤٨ مدفعا لمواجهة "فيدن" مركز الامام الذي لم تكن قوته تزيد عن ٤٠٠ مقاتل .. وبقي الامام محتفظا برباطة جأشه واستمر في تعزيز مراكزه الجماعية .. واقامة الاستحكامات وظل مع قواته يعملون ليل نهار لتقوية خط دفاعهم الاخير وكانت معركة يائسة محسومة النتيجة

وأسر الامام شامل ونقل الى كلوج وبقي فيها الى عام ١٨٦٩ ثم نقل الى ضيفا ، وفي عام ١٨٧١م سافر الى الحج وتوفي في المدينة المنورة ودفن فيها .

ويرى باریاتنسكي ان سبب نجاح هذه الحملة ان قائدها فوديكوف لم يسمح ابدا للمريدين بالقتال في موقف يتمتعون فيه بموقف مناسب لهم .. ويمكن المقارنة بين خسائر الحملة الماضية وهذه الحملة حيث لم تتجاوز ستة وعشرين جنديا بين قتيل وجريح .. وكان الجيش يخوض حروبا منتظمة وليست مواجهة مع عصابات .. ولم يرتكب القادة اخطاء تكتيكية بالاضافة الى تزويد الجيش باسلحة حديثة .

لقد كان الكتاب تأريخا عسكريا لجهاد الامام شامل ضد الروس وأهمية الكتاب في أنه يقدم معلومات مجهولة لاغلب المسلمين ويمكن ان يكون حلقة مناسبة في تأكيد المواجهة العقائدية ضد روسيا وتأصيل المواجهة الاسلامية وكان الفصل الأول منه تمهيدا مناسبا وضروريا ، ولكن فات المؤلفان يدعم كتابه بالخرائط التي تبين موقع القوقاز ومسار الحملات المختلفة ، وكانت المقدمات الكثيرة عبئا يزيد صفحات الكتاب ويرهق القارئ والكتاب الجيد يقدم نفسه بنفسه .. وورد في الكتاب اخطاء مطبعية ولغوية كثيرة لعل من اسباب ذلك ان المترجم ليس عربيا .

ويمكن ان تكون مادة هذا الكتاب عونا في اعداد رواية ادبية تسجل هذا الجهاد وتصلح ان تكون فيلما سينمائيا يساهم بشكل فعال في تأصيل الجهاد وتأكيد مواجهة الشيوعية التي لاتعدو ان تكون امتدادا للصليبية القيصرية .. ■

وغاب الصرح الشامخ

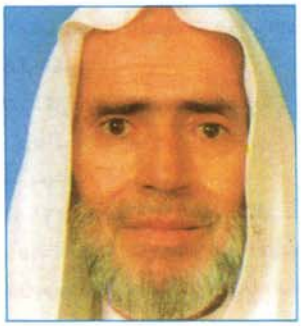

عرفتك من خلال كتبك أبا حانيا ومربيا مرموقا ، وعالما فذا وداعية يشار اليه بالبنان، وقائد جيل متعطشا لفهم القرآن .

ورأيتك في الاردن: فارا بدينك شامخا بعزتك، مستعليا بايمانك متوقدا بحماسك وضرام غيرتك مع اخوانك.

وعايشتك: في جامعة الملك عبد العزيز أخا كبيرا وصديقا حبيبا ورفيقا رؤوما كريما ...

وفارقتك وتوجهت الى أرض النزال وميدان الابطال هنا في ذرى الجبال وفي اعماق الغابات والأدغال في ارض أفغانستان التي تخط تاريخ الاسلام بالدماء

وتبني سد الاسلام العظيم أمام الطوفان الاحمر بالجماجم والاشلاء .

وبقيت رسائلك ومقالاتك المباركة ترد الى مجلتنا "الجهاد" ـ صوت افغانستان المسلمة ـ تباعا وصرنا ننشرها وننتظر المزيد حتى جاء مقالك الرابع والاخير مع العدد الخامس والثلاثين .. ففاجأنا النعي في مجلة المجتمع .

فرحمك الله ياشيخنا الكريم واستاذنا الكبير، ونرجو الله أن يجمعنا بكم في الصالحين .

اخوكم

د. عبدالله عزام